

سُورَةُ الْحَقَّةِ



النَّزُولُ: مَكْيَةٌ.

الْمَقَاصِدُ:

١ - إِثْبَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَقَّةُ ١١ مَا الْحَقَّةُ ٢٣ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَقَّةُ ٢٤ كَذَّبَتْ شَمُودٌ وَعَادٌ بِالْفَارِعَةِ ٢٥ فَأَمَّا ثَمُودٌ فَاهْلَكُوا بِالْطَّاغِيَةِ ٢٦ وَمَا عَادٌ فَاهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرَصِّرٍ عَاتِيَةٍ ٢٧ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لِيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمُ فِيهَا صَرَعًا كَانُوهُمْ أَعْجَازٌ نَخْلٌ خَاوِيَةٌ ٢٨ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٢٩ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلُهُ وَالْمُؤْفَنَكَتُ بِالْحَاطِئَةِ ٣٠ فَعَصَمُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخْذَهُمْ أَحَدَهُ رَأْيَةً ٣١ إِنَّا لَمَّا طَغَا أَمَّاءُ حَمَنَتُمْ فِي الْجَارِيَةِ ٣٢ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ ذِكْرًا وَتَعِيَّهَا أَذْنُ وَعِيَةً ٣٣

التفسير:

١ - ٣ - الحقة: اسم من أسماء يوم القيمة، سُميَتْ بذلك لتحقيق وقوعها. وافتتحت السورة بذكر هذا الاسم ليوم القيمة، ثم الاستفهام عنه بـ «ما» وبـ «ومَا أَذْرَكَ» تهويلاً لشأنه، وتفخيماً لأمره، فإن يوم القيمة حدث عظيم، تتغير فيه الموارizin، وتنقلب فيه الظواهر، وهو يوم الحساب والجزاء والخلود.

٤ - بعد أن أخبرت الآيات السابقة عن تحقيق حصول يوم القيمة،

انتقلت الآيات للحديث عن مصير بعض الأقوام الذين كذبوا بها ، وتبداً بذِكر ثمود وعاد . وسُمي يوم القيمة هنا بالقارعة؛ لأنَّها تَقْرَعُ القلوبَ بأهوالها وفظائعها .

٥ - كان جزاء ثمود - وهم قوم صالح - على تكذيبهم بالأخرة، وجحودهم بالله ورسوله ، أن أهلکهم الله تعالى بصيحة عظيمة مجلجلة ، لم يُبْقِ منهن أحداً .

٦ - وكان جزاء عاد - وهم قوم هود - على تكذيبهم أن أهلکهم الله بإرسال ريح مدمرة شديدة بلغت الغاية في بُردها وشدتها ، فلا يقف في طريقها شيء ، ولا يمنع من ثورانها مانع .

٧ - ٨ - استمر هبوب هذه الريح العظيمة المهلكة على عاد ، سبع ليال وثمانية أيام متواصلة متتابعة بلا توقف ولا انقطاع ، وتركت قوم عاد أمواتاً مُلْقينَ في الأرض على هيئة أصول النخل المقتلة من أماكنها ، الخالية الأجوف ، وقد عَمَّتهم هذه الريح بالهلاك ، فلم ينجُ منهم أحد ، ولا يمكن أيَّ رأءٍ في أرضهم أن يرى باقياً منهم ، فقد هَلَكُوا جميعاً .

٩ - ١٠ - وأهلک الله فرعون وجنوده ، ومنْ كذَب بالله والبعث قبلهم من الأمم ، وأهلک قری قوم لوط ، فإنْ هؤلاء جميعاً اقترفو الفعلة السيئة ، وهي الكفر ومعصية رسولهم ، فاستحقوا الهلاك في الدنيا والعداب في الآخرة ، وكان هلاکهم في الدنيا بعذاب أليم .

١١ - ١٢ - وأهلک الله قوم نوح بالطوفان ، وأنجى نوحَاً ومنْ آمن معه في السفينة التي جرت في الماء بأمر الله وحْفَظَه ، وجعل الله في ذلك عبرةً وذكرى لمنْ كان ذا سمع يعي بـ الحق ، وينتفع به .

الفوائد والاستنباطات:

١ - تَعَدُّ أسماء يوم القيمة ، ومنها الحاقة والقارعة ، يدلُّ على أهميته وعظمته . ولكلَّ اسم من هذه الأسماء دلالة على حدٍّ من أحداث هذا اليوم العظيم .

٢ - وضع الاسم الظاهر موضع المضمر في ﴿مَا الحَاقَةُ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَةُ﴾ لزيادة التهويل .

٣- استمرت الريح التي أهلكت عاداً قوم هود سبع ليال وثمانية أيام مع إمكان إهلاكهم في لحظة واحدة؛ ليبيان عظيم قدرة الله، وللتقطي عليهم قضاء تماماً لا يُفْلِت منه أحد.

٥ - كان إهلاك ثمود بصيحة عظيمة رهيبة، وُصفت في بعض الآيات بأنّها رجفة، وفي بعضها بأنّها صاعقة، وكل هذا للدلالة على عظمتها وقوتها وأثّرها . (روح المعانى : ٢١ / ٢٠٨).

٦ - يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَّةً أَيَّامٍ﴾ أَنَّ ابْتِدَاءَ عَذَابِ عَادِ كَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَأَنَّهُ انْتَهَى أَخْرَ النَّهَارِ كَذَلِكَ، وَلَذَا كَانَ عَدْ أَيَامَهُ زَائِدًا عَلَى عَدْ لِيَالِيهِ بِواحِدٍ .

٧ - يقول علماء النبات: النخيل من الأشجار القوية العملاقة الباسقة المتهدية لظروف الجفاف والرياح والرمال وما شابه ذلك ، ومع ذلك فإنها تصاب بالهرم والشيخوخة ، وعند الشيخوخة تَصْفُرُ أوراقها ، وتجف قمتها ، وتبقى واقفة في الهواء كالوتد العملاق ، وبعد فترة من الزمن يخترق الجفافُ نُخاعها قبل الأجزاء الخارجية من الجذع فتصبح خاوية ، فإذا هَبَّتِ الريح تساقطت على الأرض خاوية اللُّب . (الإشارات العلمية في القرآن الكريم: علم النبات في القرآن الكريم للدكتور السيد عبد الستار المليجي، ص ٤٠٤).

٨- الضمير في (لَهُمْ) من قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ يعود على عاد وثمود».

٩- سُمِّيَتْ قری قوم لوط بالمؤتفكات؛ لأنَّها قُلْبَتْ بَأْنَ جُعْلَ عالیها سافلها، وهو عذاب مناسب لما أقدموا عليه من ذنب، فيه قَلْبٌ للفطرة، وطسعة الخلقة.

١٠- أفرد لفظ **رسول في الآية الكريمة **فَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ** مع أن المحدث عنه رسولان، إذ أرسى موسى إلى فرعون، وأرسى لوط إلى قومه؟**

لأنَّ دعوة الرسل كلهم واحدة، فكأنهما رسول واحد، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦].

١١ - في إفراد لفظ ﴿أَذْن﴾ وتنكيره في قوله تعالى: ﴿وَتَعْيَاهَا أَذْنٌ وَعَيْهَ﴾ إشارة إلى قلة مَنْ يعي من الناس، وأن هؤلاء لهم عند الله مكانة كبيرة، وإن قَلَّ عددهم مقارنةً بالكثير من الناس الذين لا يَعْون، ولا ينتفعون مما يسمعون. (الكاف: ٤/٦٠٠).

﴿إِذَا نَفَخْتُ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَحْدَةً ﴿٢٢﴾ وَجَمِيلَ الْأَرْضِ وَالْجَبَالِ فَدَكَّنَا دَكَّةً وَحْدَةً ﴿٢٣﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿٢٤﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةً ﴿٢٥﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَمْلِعُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْهُمْ يَوْمَئِذٍ تَمِيَّةٌ ﴿٢٦﴾ يَوْمَئِذٍ تُعَرَّضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةً ﴿٢٧﴾ فَامَّا مَنْ اُوتَ كِبَرَهُ وَيَسِّيهِ فَيَقُولُ هَؤُمُ اُفْرَءُوا كَبِيرَهُ ﴿٢٨﴾ إِنِّي طَنَنْتُ أَنْفَ مُلْقِ حَسَابِيَهُ ﴿٢٩﴾ وَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَهُ ﴿٣٠﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَّكَهُ ﴿٣١﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَهُ ﴿٣٢﴾ كُلُوا وَاشْرِبُوا هَيْتَعًا بِمَا أَسْلَفْتُمُ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَّهُ ﴿٣٣﴾ وَامَّا مَنْ اُوتَ كِبَرَهُ وَيَسِّيهِ فَيَقُولُ يَلِيَّتَنِي لَمْ اُوتَ كَبِيرَهُ ﴿٣٤﴾ وَلَرَ أَدْرِ مَا حَسَابِيَهُ ﴿٣٥﴾ يَلِيَّتَنِي كَانَتِ الْفَاضِيَّهُ ﴿٣٦﴾ مَا أَغْفَى عَنِ مَالِيَهُ ﴿٣٧﴾ هَلَّكَ عَنِ سُلْطَنِيَهُ ﴿٣٨﴾ خُذُوهُ فَلُؤُوهُ ﴿٣٩﴾ فِي الْجَحَمَ صَلُوهُ ﴿٤٠﴾ ثُرَّ فِي سِلْسِلَهُ ذَرَعَهَا سَبْعُونَ ذَرَاعًا فَاسْكُوُهُ ﴿٤١﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ ﴿٤٢﴾ وَلَا يَحْضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٤٣﴾ فَلَيَسَ لَهُ أَيْمَنَ هَهُنَا حَمِيمٌ ﴿٤٤﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِنِ ﴿٤٥﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِعُونَ ﴿٤٦﴾

التفسير:

١٣ - فإذا نفخ الملك الموكَل بالنفخ في البوقي إذاناً ببدء يوم القيمة، وهو إسرافيل عليه السلام، والمقصود في الآية النفخة الأولى.

١٤ - يرافق النفخ في الصور أحداد عظيمة، منها أن تُزال الجبال عن أماكنها، وترفع هي والأرض، ويُضرب بها حتى تندق وتتكسر الجبال فتزول وتتفتت، وتصبح الأرض مستوية.

١٥ - إذا حصل ذلك فهذا إِيذانٌ بِبَدْءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَسُمِّيَتِ الْقِيَامَةُ وَاقِعَةً تَأكِيداً لِحَصْولِهَا.

١٦ - وَتَنَشَّقُ السَّمَاءُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَتَنْتَفِخُ أَبْوَابُهَا لِنَزْوَلِ الْمَلَائِكَةِ، وَتَصْبِحُ هَشَّةً ضَعِيفَةً غَيْرَ مَتَّسِكَةً.

١٧ - وَتَكُونُ الْمَلَائِكَةُ فِي جُوَانِبِ السَّمَاءِ وَنَوَاحِيهَا بِانتِظَارِ أَمْرِ اللَّهِ لِلْقِيَامِ بِهِ، وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ صَنْفٌ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ فَوْقَ سَائِرِ الْخَلْقِ، وَهُمْ ثَمَانِيَّةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْعَظَامِ الْخَلْقِيِّ، أَوْ ثَمَانِيَّةٌ صَفَوْفٌ هَائلَةٌ فِي الْكُثُرَةِ وَالْقُوَّةِ.

١٨ - فِي هَذَا الْيَوْمِ يُعَرَّضُ الْخَلْقُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي تَبْعَثُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، فَيَقُومُونَ صَفَوْفًا بِانتِظَارِ الْحِسَابِ وَالْسُّؤَالِ، وَهُمْ فِي فَرْعٍ وَدَهْشَةٍ. وَاللَّهُ تَعَالَى عَالَمٌ بِهِمْ وَبِأَسْرَارِهِمْ، لَا يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَخْفِي عَلَيْهِ سِرٌّ وَلَا أَمْرٌ.

١٩ - فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَدْءُ الْحَدِيثِ عَنِ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ وَهُمُ الَّذِينَ يَتَسَلَّمُونَ صَحِيفَةً أَعْمَالَهُمْ بِيَدِهِمُ الْيَمَنِيُّ، فَإِنَّ أَحَدَهُمْ يَبَادِرُ بِمُخَاطَبَةِ مَنْ حَوْلَهُ طَالِبًا مِنْهُمْ أَنْ يَقْرُئُوا كِتَابَهُ، لِأَنَّ مَا فِيهِ يُسِّرٌ وَيُشَرِّفُ؛ بِدَلَالَةِ تَسْلِيمِهِ بِالْيَدِ الْيَمَنِيِّ، وَقَدْ كَانَ مَتِيقَنًا مِنْ حَصْولِ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَبِمَا أَخْبَرَ بِهِ.

٢١ - تُبَيِّنُ هَذِهِ الْآيَاتُ جَانِبًا مِنْ نَعِيمِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فِي الْجَنَّةِ، فَمَقَامُهُمْ فِيهَا كُلُّ رِضَا وَسُرُورٌ وَنَعِيمٌ دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ وَلَا يَزُولُ.

٢٢ - وَسُكُنُهُمْ فِي جَنَّةٍ عَظِيمَةِ الْقَدْرِ، ذَاتِ قَصُورٍ عَالِيَّةٍ شَامِخَةٍ.

٢٣ - وَالشَّمَارُ فِيهَا قَرِيبَةُ التَّنَاوِلِ، يَحْصُلُ عَلَيْهَا الرَّاغِبُ فِيهَا دُونَ عَنَاءٍ وَلَا جَهْدٍ.

٢٤ - مِنْ صُورِ النَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ تَنَاؤلُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ تَفَكُّهًا وَتَلَذُّذًا، لَا عَنْ حَاجَةٍ إِلَيْهَا. وَكُلُّ هَذِهِ النَّعِيمِ جَزَاءٌ لَهُمْ مُقَابِلٌ مَا قَدَّمُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ طَاعَةٍ وَعِبَادَةٍ.

٢٥ - ثُمَّ ذُكْرُ الْقَسْمِ الثَّانِيِّ، وَهُمُ الَّذِينَ يَتَسَلَّمُونَ صَحِيفَةً أَعْمَالَهُمْ بِيَدِهِمُ الشَّمَالَ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَتَمَنِي أَنَّهُ لَمْ يَبْعُثْ، وَلَمْ يَتَسَلَّمْ كِتَابَهُ، وَيَتَمَنِي لَوْ أَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يُعْقِبْهُ بَعْثًا وَلَا نَشُورًا؛ لِمَا تَيَّقَنَ مِنْ سُوءِ الْمَصِيرِ لِحَظَةٍ تَسْلِيمِهِ كِتَابَهُ بِشَمَالِهِ.

٢٩ - ٢٨ . ويَعْلَمُ في ذلك الموقف أَنَّ ماله الذي أَحْبَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَجَمِيعه بِشَتِّي الْوَسَائِلِ ، لَنْ يَغْنِي عَنْهُ شَيْئاً ، وَلَنْ يَمْنَعَ عَنْهُ عِذَابَ اللَّهِ ، وَأَنَّ الْجَاهَ وَالْسُّلْطَانَ وَالْمَكَانَةَ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ فِي الدُّنْيَا لَنْ تَنْفَعَهُ شَيْئاً ، وَقَدْ زَالَتْ وَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثْرٌ .

٣٢ - ٣٠ . يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ أَهْلَ النَّارِ أَنْ يَأْخُذُوا هَذَا الْكَافِرَ إِلَى جَهَنَّمَ ، وَأَنْ يَجْمِعُوهُ يَدِيهِ إِلَى عَنْقِهِ بِالْأَغْلَالِ ، وَيَحْيِطُوهُ جَسْدَهُ بِسَلْسَلَةٍ طَوِيلَةٍ زِيَادَةً فِي تَعْذِيبِهِ وَإِهَانتِهِ .

٣٤ - ٣٣ . تُبَيَّنُ هَذِهِ الْآيَاتُ سَبَبَ حَصُولِ هَذَا الْعَذَابِ لِمَنْ يَعْذَبُ بِهِ ، وَهُوَ كُفُّرٌ بِاللَّهِ ، وَمَنْعِهِ الْخَيْرُ عَنِ الْمَسَاكِينِ ، مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ غَيْرِهِ ، فَكَانَ لَا يُطْعِمُ الْمَسَاكِينِ ، وَيَنْهَا غَيْرُهُ عَنِ إِطْعَامِ الْمُحْتَاجِينَ .

٣٥ . لَا يَجِدُ هَذَا الْكَافِرُ مَنْ يَحْمِيهُ مِنْ الْعَذَابِ ، وَلَا مَنْ يُجِيرُهُ مِنْهُ ، فَقَدْ سُغِّلَ أَصْدِقاُؤُهُ بِأَحْوَالِهِمْ .

٣٦ . وَلَا يَجِدُ هَذَا الْكَافِرُ فِي النَّارِ طَعَاماً إِلَّا مَا يَسِيلُ مِنْ أَبْدَانِ أَهْلِ النَّارِ مِنْ صَدِيدٍ وَدَمٍ .

٣٧ . لَا يَأْكُلُ هَذَا الطَّعَامَ إِلَّا مَنْ تَعَمَّدَ الْكُفُرَ بِاللَّهِ ، وَعَدَمُ الإِيمَانِ بِهِ ، وَفَعَلَ مَا يَجْلِبُ سَخْطَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ .

الفوائد والاستنباطات:

١ - يُؤخذ من الآيات التي تبين حال الجبال يوم القيمة ثبوت عدة مراحل من التغيير لها، منها الذك المذكور في هذه السورة، ومنها: النصف، والتسير، وأن تصير هباءً، وأن تصير سراباً، وأن تصير كالعهن المنفوش، ولبعض المفسرين اجتهادات في ترتيب هذه المراحل. (الفخر الرازي، التفسير الكبير: ١٢/٣١).

٢ - **﴿هَاؤُم﴾** اسم فعل أمر بمعنى **حُذُوا**، ويجوز فيه الهمز والقصور: هاءوها، وتتصل به كاف الخطاب. (الدر المصنون: ٤٣٢/١٠).

٣ - الهاء في **﴿كَثِيرَه﴾** و**﴿حَسَابَه﴾** و**﴿مَالَه﴾** و**﴿سُلْطَانَه﴾** هاء الوقف التي تُجتَلب حال الوقف على الكلمة لتبين حركة آخرها، وتثبت هاؤها وصلاً لشوبتها رسمًا.

٤ - في قوله تعالى: ﴿يُوَمِّدُّ تُرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةً﴾ أقوى رادع للتكف عن محارم الله، واجتناب ما يُسْخطه سبحانه سراً وجهاً.

٥ - يتمنى الكافر يوم القيمة الموت بقوله: ﴿يَلَيَّهَا كَانَتِ الْفَاضِيَّة﴾ مع شدة كراهيته له؛ لما يرى مما هو عنده أشنع من الموت وأمرٌ. (أورد الطبرى عن قتادة كلاماً بمعناه في تفسيره جامع البيان: ٣٩/٢٩).

٦ - حَصَرَتِ الآية الكريمة ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِنَ﴾ طعام أهل النار في هذا الصنف، وورد في آياتٍ أُخْرَى أنه من الضريع، ومن الرزق، ولا تعارض بينها، إذ تُحَمَّلُ على تنوّع عذاب أهل النار، فيُعَذَّبُ بعضهم بهذا وبعضهم بغيره، أو على حصول بعض العذاب في مراحل، وبعضه في مراحل أخرى.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبَصِّرُونَ ﴿٣٩﴾ وَمَا لَا تُبَصِّرُونَ ﴿٤٠﴾ إِنَّهُ لِقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤١﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا
مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا نَذَرُوكُنَ ﴿٤٣﴾ نَزَّلْنَا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ
الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٥﴾ لَا خَذَنَا مِنْهُ بِالْمِيَّنِ ﴿٤٦﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتَنِ ﴿٤٧﴾ فَمَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ عَنْهُ حَاجِزٌ
وَلِإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِلْمُعْقِنِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَنَا لَعْنَاهُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَلِإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكُفَّارِينَ ﴿٥٠﴾ وَلِإِنَّهُ
لَحَقَ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَيَّحَ يَاسِمَ رَيْكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

التفسير:

٣٨ - ٤٠ - فَأُقْسِمُ قَسَماً مُؤْكِداً، بما تبصرونه من المرئيات وما لا تُبصرون، على أنَّ القرآن مُبَلَّغٌ لكم بوساطة رجلٍ جامِعٍ لمحاسن الأخلاق والفضائل.

٤١ - ٤٣ - تنفي هذه الآيات عن القرآن الكريم تهمة الشعر والكهانة، فإنه لا يُشبه كلام الشعراء ولا الكهنة، لأنَّه كلام الخالق العظيم سبحانه، أنزله على نبيه للهداية والعبرة، إلا أنَّه لم يؤمِن به، ولم يعتبر ويتعظ بما فيه إلا عددٌ قليلٌ ممَّنْ تُلَيِّ عليهم القرآن، وسمعواه.

٤٤ - ٤٧ - ولو أنَّ هذا النبي الكريم أَدَّعَى على الله شيئاً لعاقبه سبحانه على ذلك بعقوبة عاجلة تُنهي حياته، ولا يملك أحدٌ أنْ يمنع تلك العقوبة عنه.

٤٨ - ٥٢ تتحدث هذه الآيات عن القرآن الكريم، مُسِّيَّنةً أنَّه تذكرةٌ وعِبرةٌ وموعظةٌ لأصحاب التقوى ينتفعون بما فيه، ويعملون بما أُمروا به. والله تعالى يعلم أنَّ من الناس مَنْ يكذب بالقرآن، وسيكون القرآن حسرةً وندامة على مَنْ كفر به، حين يَرَوْنَ ثواب المؤمنين، وما أعدَ لهم من عقاب وعذاب. وإنَّ القرآن هو الحق البين الواضح الذي لا امتراء فيه ولا ريب، فنَّزَّهُ ربُّكَ، واذكر اسمه العظيم، حامداً إياه على نعمة القرآن، وعلى سائر النعم.

الفوائد والاستنباطات:

١ - تَضَمَّنَ قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُجْمِرُونَ ٣٨﴾ وَمَا لَا تُصْرُونَ﴿ القَسَمَ بِكُلِّ شيءٍ، فالمبصر وغير المبصر يشمل الخالق والمخلوق والدنيا والآخرة، والنعم الظاهرة والباطنة، وما نعلم من الخلق وما لا نعلم .

٢ - يشير النص في القَسَم بما لا نُبصِّرُ إلى وجود عوالم لا يستطيع الإنسان رؤيتها. ومجرد الجزم بوجود هذه العوالم يفتح للإنسان آفاقاً هائلة من العلم بمدى ضعف الإنسان، وقلة حيلته أمام هذه العوالم العظيمة، ويتعلّى بعْلِيهِ على الذين يَحْصُرونَ إدراكيَّهم في عالم مَرْئَى ضيق الحدود. وفيه دعوة إلى التأمل والتفكير والبحث والاجتهداد.

٣ - يُنْسَبُ القرآنُ إلى النبي ﷺ، كما في قوله تعالى هنا: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ بوصفه مُبَلَّغَه للناس، ويُنْسَبُ إلى جبريل ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩﴾ ذَيْ فُوْقَةٍ عِنْدَ ذَيِّ الْعَرْشِ مَكِينٍ﴿ [التسوّب: ١٩ - ٢٠] بوصفه المرسل به من الله إلى رسوله، ويُنْسَب إلى الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥] لأنَّه قائله سبحانه .

٤ - وجْهُ الجَمْع بين الشِّعْر والكِهانة - في الآيات مع اختلافهما - لأمور منها: أنَّ الكهان كانوا يحتهدون في تحسين كلامهم بالسجع والمحسنات اللغظية؛ ليقوى تأثيرُ كلامهم فيمن حولهم.

٥ - مع عظيم منزلة النبي ﷺ عند الله، إلا أنَّه لو حاد عن الصواب وافتوى على الله كذباً، فإنَّ عقابه سيكون عظيماً سريعاً. وبهذا الكلام يتأكد أنَّ النبي ﷺ بَلَغَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِ، ولم يَكُنْ مِنْهُ، ولم يُعَيِّرْ فِيهِ.

- ٦ - الْوَتَيْنِ: عَرْقٌ يُصلِّيُ الْقَلْبَ بِالدَّمَاغِ، وَإِذَا انْقَطَعَ ماتَ الْإِنْسَانُ فورًا؛
وَلَذَا كَانَ النَّصُّ عَلَى قَطْعِهِ لِسُرْعَةِ حَصُولِ الْمَوْتِ بِذَلِكَ.
- ٧ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَحَقَ الْيَقِينُ﴾ وَجَهَانُ، أَوْلَاهُمَا: أَنْ يَكُونَ مِنْ إِضَافَةِ
الْمَوْصُوفِ إِلَى صَفَتِهِ، وَمِثْلُهُ: عَيْنُ الْيَقِينِ، وَثَانِيهِمَا: أَنْ يَكُونَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ،
وَيَكُونُ مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ بِلِفْظِ مُغَايِرٍ، وَهُوَ أَسْلُوبٌ شَائِعٌ مَعْرُوفٌ فِي
الْلُّغَةِ. (الْهُدَى: ١٢/٧٦٩٣. الدُّرُّ المَصُونُ: ١٠/٢٣٢).